مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة

العدد الثامن
1991 م.

"ال" في لغة العرب

الأستاذ سالم شليبك
كلية الدعوة الإسلامية
طرابلس

(ال) حرف مهمل يختص بالدخول على الأسماء[1] وحق هذا الاختصاص أن يكسبه العمل والتأثير في مدخوله؛ لأن الحرف إذا اختص عَمِلَ ـ كما يقال ـ إلا أن تلك قاعدة أغلبية؛ إذ قد يختص الحرف ولا يعمل: كاختصاص السين وسوف بالمضارع، وكذا قدِ، وهلاّ وغيرها من الحروف التي لا تليها إلا الأفعال وليست عاملة فيها.

وهذا الحكم لِـ (ال) من جهة اللفظ، وأما من جهة المعنى فإنها نوعان مؤثرة وغير مؤثرة، وأعني بذلك التأثير المعنوي الذي هو إخراج المعرّف بها من شياع التنكير إلى حصر التعريف والتعيين.

وسأعالج في هذا البحث الموجز أقسام (ال)، وبيان الخلاف في تحديد أداة

(1) ودخولها في المضارع شاذ، ومنه قول الفرزدق:

ما أنت بالحكم الترضى حكومته ولا الأصيل ولا ذي الرأي والجدل

التعريف، وذكر مواضع المعرفة، والموصولة، والزائدة، وذلك على النحو الآتي: ـ

أقسام ال:

تجيء ال لمعانٍ كثيرة تبعاً لاستعمالاتها واستخدامها في الأساليب العربية ونستطيع مبدئياً حصرها في ثلاثة أقسام، وكل قسم تحته أنواع.

ال المعرفة:

القسم الأول : ال المعرِّفة، كما في الرجل والكتاب، وتأثيرها في مدخولها معنوي، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

والنحاة مختلفون في تحديد أداة التعريف: فالخليل يذهب إلى أنها (أَل). والهمزة عنده همزة قطع، بدليل أنها مفتوحة، ولو كانت همزة وصل لكسرت؛ لأن الأصل فيها الكسر إلا لمقتضٍ. والذي جعلها همزة وصل هو التخفيف لكثرة الاستعمال.

وسيبويه لا يتفق مع الخليل في هذه المسألة، بل يرى أن المعرِّف اللام وحدها، كما يختلف معه في نوع الهمزة، فهي عنده همزة وصل اجتلبت توصلاً إلى النطق بالساكن، ولم تحرك اللام؛ لأنها لو حركت بالكسر لاشتبهت بلام الجر، ولو حركت بالفتح لاشتبهت بلام الابتداء، وتحريكها بالضم يؤدي إلى ما لا نظير له في لغة العرب.

ثم إن ال المعرِّفة أنواع:

(أ) ال الجنسية: وهي التي تخلفها كل، حقيقةً، أو مجازاً، أو لاتخلفها. فالأولى لشمول الجنس، كالتي في قوله تعالى: ﴿وخلق الإنسان ضعيفاً﴾ فإن المعنى: وخلق كل إنسان ضعيفاً. والثانية لشمول خصائص الجنس مبالغة، كأن يقال: أنت الرجل شجاعة.

إذ لو قيل: أنت كل رجل شجاعة لصح على سبيل المجاز.

والثالثة تكون لبيان الحقيقة والماهية، كالتي في قوله تعالى: ﴿**وجعلنا من الماء كل شيء حي**﴾ أي: من حقيقة الماء المعروف.

(ب) ال العهدية وتجيء لثلاثة معانٍ:

1 ـ العهد الذكري، وهي التي يتقدم لمصحوبها ذكر، كالتي في قوله تعالى: ﴿**كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً فعصى فرعون الرسول**﴾ وفائدتها التنبيه على أن الرسول الثاني هو الأول، فلو ذكر بغير ال لتوهم أنه غيره.

2 ـ العهد العلمي: وهي التي يتقدم لمصحوبها علم، كالتي في قوله تعالى: ﴿**إذ هما في الغار**﴾ ﴿**بالواد المقدس**﴾ لأن ذلك معلوم عندهم.

3 ـ العهد الحضوري: كأن يكون مصحوبها حاضراً كالتي في قوله تعالى: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم**﴾ أي: اليوم الحاضر، وهو يوم عرفة.

ومن أحكام هذه اللام أنها تدغم في أربعة عشر حرفاً من حروف الهجاء، وهي المسماة بالحروف الشمسية، كالثواب، والدهر، والرمح، والصبر، الخ.. وفي لغة حمير تبدل لام التعريف ميماً، وعلى لغتهم جاء قول الشاعر:

ينصرني منك غير معتذر　　　يرمي ورائي بامسهم وامسلمه

يريد: بالسهم والسلمة.

وفي الحديث: (ليس من امبر امصيام في امسفر) أي: ليس من البر الصيام في السفر، بإبدال اللام ميماً في الكلمات الثلاث.

ال الموصلة:

القسم الثاني: ـ ال الموصولة، وهي الداخلة على وصف كاسم الفاعل

واسم المفعول، والصفة المشبهة على خلاف بين العلماء فيها[2].

فمن ورودها في اسم الفاعل قول جرير:

الضاربون الكبش يبرق بيضه ضربا يطيح له بنان المفصل
والخالطون غنيهم بفقيرهم والمنعمون على الضعيف المرمل

فال في الضاربون والخالطون والمنعمون اسم موصول، والوصف صلته إذ المعنى: الذين ضربوا وخالطوا وأنعموا.

ومن ورودها في اسم المفعول قوله تعالى: ﴿والمحصنات من النساء﴾.

وقوله تعالى: ﴿والسقف المرفوع والبحر المسجور﴾ بمعنى اللاتي أحصن، والسقف الذي رفع. ومثالها في الصفة المشبهة: الحسن الوجه، والطاهر القلب. والمازني يرى أن ال في اسمي الفاعل والمفعول موصول حرفي، وزعم أبو الحسن الأخفش: أنها حرف تعريف فيهما.

ال الزائدة:

القسم الثالث: ـ ال الزائدة، وهي نوعان: لازمة، وغير لازمة.

فالأولى كالتي في الاسم الموصول: الذي وفروعه، وإنما حكم بزيادتها لأن تعريف الموصول بالصلة، لا بها على الراجح من أقوال العلماء.

ولزمت زيادتها في الآن أيضاً، وهو اسم للزمان الحاضر، وبناؤه على الفتح لتضمنه معنى لام التعريف، وال فيه زائدة، وهذا في نظري غريب، فال مقدرة معرفة، وال ظاهرة زائدة.

ومنها ال الداخلة على بعض الأعلام، كالسموأل علم لرجل من اليهود، واليسع علم على نبي عليه الصلاة والسلام، واللات والعزى: علمين مؤنثين

(2) قال ابن هشام: ال على ثلاثة أوجه: أحدهما أن تكون اسماً موصولاً بمعنى الذي وفروعه وهي الداخلة على أسماء الفاعلين والمفعولين، قيل: والصفات المشبهة وليس بشيء لأن الصفة المشبهة للثبوت فلا تؤول بالفعل. المغني بحاشية الأمير ج 1: 47.

لصنمين. ولما كان تعريف هذه الأسماء بالعلمية اعتبرت ال فيها زائدة؛ لأن لا يجتمع تعريفان على معرَّف واحد.

والثانية، أي: التي لا تلزم. وهي إما أن تكون عارضة خاصة بالضرورة الشعرية مثل الداخلة على التمييز، وعلى بعض الأعلام، واستدل على زيادتها في التمييز بقول الشاعر:

رأيتك لما أن عرفت وجوهنا صددت وطبت النفس يا قيس عن عمرو

فالنفس تمييز وال فيه زائدة، وهذا مذهب بصري، والكوفيون يجيزون تعريف التمييز، فال فيه للتعريف.

ومن دخولها ضرورة في بعض الأعلام قول آخر:

ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلاً ولقد نهيتك عن بنات الأوبر

فبنات أوبر علم على ضرب من الكماة، والمُبرِّد يرى أن بنات أوبر ليس بعلم، فهو نكرة وال فيه معرِّفة.

ومن هذا القبيل ما زيد في النثر كقولهم: ادخلوا الأول فالأول: فال فيهما زائدة، لأن الحال واجبة التنكير، خلافاً ليونس والبغداديين.

وزيدت ال في الأعلام المنقولة من الصفة، كالحسن، والمتوكل، والمنصور أو المصدر كالفضل، أو اسم عين كالنعمان؛ فإنه في الأصل اسم للدم، وقد حكم بزيادة ال في مثل هذه الأعلام؛ لأنها بعد التَّسْمِيَة بها صار تعريفها بالعلمية.

وإذا كانت ال هذه زائدة، فهل يصح حذفها واثباتها على حد سواء؟ فيقال: حسن والحسن، ومنصور والمنصور، ومتوكل والمتوكل الخ..

والجواب عن ذلك، أن ال في هذه الأعلام قد يؤتى بها لغرض، وهو الدلالة على الالتفات إلى ما نقلت عنه من صفة أو غيرها، فإذا لوحظ هذا المعنى فإنها لا تحذف، لأنه بها يستفاد، وإن لم يلمح إليه فلا يؤتى بها.

وتزاد ال في بعض الأعلام للغلبة، كالتي في المدينة، والكتاب، والأعشى،

فإن حق لفظ المدينة أن يصدق كل مدينة، ولكن غلبت المدينة على مدينة رسول الله ﷺ وحق الكتاب أن يستعمل في كل كتاب إلا أنه غلبَ على كتاب سيبويه، والأصل في الأعشى الذي لا يبصر ليلاً، ثم غلب على أعشى بَكْر الشاعر المعروف.

مراجع البحث

1ـ التصريح على التوضيح/ الشيخ خالد الأزهري / ط. عيسى الحلبي.
2ـ جواهر الأدب في معرفة كلام العرب / منسوب إلى علاء الدين الإربلي، تقديم السيد محمد مهدي الموسوي.
3ـ رصف المباني في حروف المعاني / المالقي / تحقيق محمد الخراط.
4ـ كتاب الأزهية في علم الحروف / الهروي / تحقيق عبد المعين الملوحي.
5ـ معاني الحروف / الرماني / تحقيق د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي.
6ـ مغني اللبيب بحاشية الأمير / ابن هشام / ط. عيسى الحلبي.